

## وخير جليس في الزمان ...

# ودخلت الخيل الأزهر (٣ / ٣)



طله حسين الحضرمي

لحقد أسوأ ما يفعله مستعمر غاشم في أمة  
لمنة ميسلمة.  
ثم يشير المؤلف إلى قضية من  
أهم القضايا ويعدها لخطر حادثة في  
تاريخ لشرق الإسلامي كله، ألا وهي  
قضية الصراع الفكري الذي يدور في  
الشرق وفي العالم العربي بشكل خاص  
منذ الحملة الفرنسية إلى يومنا هذا، بين  
المدارس الوطنية والمدارس الاستعمارية  
لتغريبية فالفرق الأول يرى أن  
( الشعوب المختلفة لا يمكنها أن تحقق  
تقدمها للتكنولوجي إلا من خلال رفض  
قيم الحضارات المنقولة، رفض الاندماج  
بها، رفض التبعية لها، وإبه بقدر ما  
تنتسب الأمة بوجودها وذيتها وتراتها  
وحضارتها بقدر ما تزدد قسرتها على  
اكتساب عرامل التفوق الألي عند  
خصمها) ص ٢٢٦، أما الفرق الثاني  
فيرى (( أن الحضارة كعمرى نهر، يكفى  
أن تنشق نرعة لياهم حتى تجري في  
أرضك، وترتوي وترتبط بله في ذات  
لوقت، بون كل محاولة للانفصال عن  
مجرى لقتكتم هو زيادة في لظما  
لحضاري، وأن الحضارة لو تقدمت كل لا  
يتجزأ، فلا يسعنا أن ننقل صناعة لوروى،  
دون الفلسفة الأوروبية والسلوك  
الأوروبى والأخلاقيات الأوروبية والقيم  
والعقائيات الأوروبية وهذا يعنى طبعاً  
الانتمسلاخ عن جذورنا وخصائص  
حضارتنا)) ص ٢٢٧ لهذا يرى المؤلف  
أن أول ثورة صناعية في لشرق انبثقت  
من بين الركام لذي أحدثه المحتل في  
لقاهرة، ففي أثناء ثورة القاهرة الثانية قام  
سكان لقاهرة بتصنيع البارود كما  
صنعوا لقنابل من حديد المساعد وقاموا  
بصنع مصانع لصنع المدافع وحمل  
لقنابل، غير أن لحنو سعى باستماتة  
وبشكل المسبل لإجهاض هذا الإنجاز  
التكنولوجي، (( وهكذا ترى أن مصر قد  
طرفت لبواب لصناعة من خلال قتلها  
ضد الاستعمار الغربى، لا من خلال  
الروض لوله أو التعاون معه)) ص ٢٣٠ ثم  
تنطرق لكاتب إلى عدة قضايا من بينها  
قضية الوحدة الوطنية ويرى أن حضارتنا  
الإسلامية تتفرد (( بتعدد وتنوع  
واستمرار الأقليات في إطارها، وحيثما  
لقت في خريطة العالم، فسجلت أن  
الأقليات لتي عاشت عبر التاريخ،  
وازدهرت، ونجت، هي تلك التي أسعدتها  
الحضارات في البلدان التي حكمها  
لمسلمون)) ص ٢٤٩، ثم أشار إلى

من العملاء وأول مشروع للاستقلال  
وأول طلب للحماية الأجنبية وغيرهما  
بعدها أصحاب التفسير الاستعماري  
للتقليل على الأهمية لخصائية  
ولتحريرية لتي قامت بها لخدمة  
الفرنسية، وقد حاول المحتل أن ينتزع  
اعترافاً شعبياً بشرعية احتلاله وذلك  
بتشكيل لديو أن تم باستصدار فتوى من  
مشايخ الأزهر لحو لحق أن المقاومة  
استمرت وتارت للقاهرة للمرة الثانية  
بحما بلغتها الهزيمة الساحقة لتي مني بها  
الجيش العثماني في عين شمس على يد  
كليبى، وعاد كليبى إلى القاهرة للانتقام من  
هذه المقاومة لتي كانت شوكة تقض  
مضجعه، ويرد للمؤلف على من يرى أن  
ثورة القاهرة الثانية كانت لحساب الأتراك  
وللمماليك بقوله: (( وثورة القاهرة ...  
كانت وطنية مائة في المائة، قامت على  
كثاف المصريين وساهمت فيها العناصر  
الغربية والإسلامية الموجودة في القاهرة،  
قبل ظهور لتقسيمات السياسية  
لحالية وكانت أول ثورة في لشرق  
تواجه الاستعمار الغربى بهذا الشمول  
ولصمود الذي دام أكثر من شهر كامل  
بينما لم تستطع باريس بعد سبعين عاماً  
بقبادة كوسيوها أن تصمد لطول من ذلك  
بكثير)) ص ٢٩٧ كما كان للمعلم  
يعقوب ومن ورائه الفيلق القبطى من  
درب النصارى مساهمة جليلة في  
لقضاء على هذه الثورة وذلك بطعنهما في  
الطنء ويعتبر المؤلف عن الأفعال غير  
النبيلة لتي وقعت في أثناء الثورة  
بمسوغات مقنعة ردا على خصوم هذه  
الثورة أنصار لمدروسة الاستعمارية-  
( ( جماهير ثورة القاهرة لم ترتكب من  
أعمال لعدوة، أو أفواجية، ما ارتكبه  
جماهير باريس، ومع ذلك فما من مؤرخ  
أدان الثورة الفرنسية، بسبب هذه  
العو عائية، ولتين أدونها، لم يدينوا لهذا  
السبب، بل لأسباب في جوهر الثورة  
ذاتها)) ص ٣٠٤ أما لحيثي فقد نظر إلى  
المسألة من منظور آخر، فقد أدان هذه  
لممارسات المشيئة لتي وقعت في أثناء  
هذه الثورة غير أنه كان يقف إلى جانب  
الشعب لمصرى في مقاومته لفتنة  
لرشيده ضد المحتل العاشم، وعموماً كل  
أنصار لمدروسة الوطنية كتوا يقفون إلى  
جانب هذه المقاومة.

المقاومة المسلحة جميع لقطر من إقليم  
لذلتا إلى جنوب لصعيد، أما المقاومة في  
لقاهرة فكانت لها لنية خاصة، خصص  
لها المؤلف فصلاً كاملاً بعنوان ( وتارت  
مدينتي)، ولحديث عن المقاومة يحرنا  
إلى الحديث عن المتعاونين مع المحتل  
بأية صيغة كان هذا التعاون، عمالة،  
تواطؤ، مهانة مجازاة، وقد أفص  
المؤلف في تفصيل هذا التعاون، فهناك  
العميل المفضوح من مثل المعلم (يعقوب)  
و(برتلبي) لو (برتلبيو) فرط لزمان  
وهو معاصر رومى نصرانى و(شكر الله)  
وبعض صياغة الأقباط الذين أوكل إليهم  
نابليون مهمة جمع لضموتب ولبوليس،  
وبعض حونة للمماليك من أمثال مراد بيك  
بو هناك لمرن لذي اضطر إلى التعامل  
مع المحتل مثل لشيوخ لبيكرى ولشيوخ  
المهدي غير أن المهدي كان أبرع وأكثر  
احتراماً لنفسه في لوقت نفسه، وربما  
تختلف مع المؤلف في مواضع كثيرة منها  
هذا الموضوع، فقد أطال النفس في شيوخ  
تعاملتة من مشايخ الأزهر مع المحتل،  
بيد أن كثير منهم اختار سبيل المقاومة إما  
عن طريق الخروج إلى لمنفى اختياراً  
حتى لا يكون تحت سيطرة المحتل لكي  
يدير المقاومة بحرية، فيعود حين الفرصة  
لينقض على المحتل مثلهما فعل السيد  
النجيب عمر محرم، ومنهم من بقى إلى  
جانب الجماهير لفضاً لتوثيق نفسه  
بالانتمسب إلى جهاز السلطة ورفض  
الاشترك في مهزلة لحكم مع الفرنسيين  
أي لديو أن لذي أرسى دعائم لفرنسيون  
وسمه أن شنت أول مجلس نيابى في عموم  
الوطن لعربى!! وعلى رأس هؤلاء  
لشيخ السادات.

وفي أثناء هذا الاحتلال الفرنسي  
لغاشم لم يتسلم الشعب المصرى بل  
أعلن المقاومة بكل أشكالها ومن كافة  
عناصره، العلماء والأغنياء والفلاحين  
ولزرع والحرفيين ولغوغاء، وكانت  
هذه المقاومة الشعبية العامة تمثل الرفض  
للسام نكل أشكال لتدجين أو  
( ( خدعة لتحديث على يد جيش احتلال))  
ص ١٨٢، وربما كان هذا الشعب في  
حاجة إلى مدعية الفرنسيين (( لتبديد ليل  
الغفلة والأمن لكاتب الذي عاشته  
لشعوب لعربى مخترة بانتصاراتها على  
الصليبيين وبالفتوح العثمانية، وكانت ردة  
لفعل الطبيعية هي الاستجابة للتحدى،  
ومحاولة لتغلب عليه، بامتلاك وسائل  
لمعرفة التي تقسلك لتفوق إلى لجانب  
الأخر من البحر الأبيض، بعدما استقر  
على شوطننا قروننا ليست  
بالقابلة)) ص ١٨٥  
وقد تقن للمحتل في إخضاع شعب  
مصر تارة بالقوة وتارة بالمدجل وأخرى  
بالاثنين معا (( وكان مستقبل مصر  
وسبلانها رهين نجاحها في منع استقرار  
لمحتل الأجنبى، أي بمقاومة وجوده  
وجعله غير آمن في كل شبر من أرض  
مصر. وقد حاول الفرقان بكل جهد متاح  
تحقيق أهدافهما)) ص ١٩٠  
أما مقاومة للشعب لمصرى فقد  
كانت عامة وكان الرفض شاملاً، وقد  
لتخذ عدة أشكال، منها المقاومة المسلحة  
بإعلان مقاطعة لمحتل وعدم التعامل معه  
بأي شكل من أشكال للتعامل وهو أشبه ما  
يكون بما نسميه اليوم بالعصيان المدني،  
وقد أشار الجنرال ديموى إلى هذه  
لمقاومة في قوله (( تابعت لكثيرة سيرها  
ووصلت إلى دمنهور وكنا في خلال هذه  
لمسافة محرومين من الماء حرماناً تاماً،  
وكان من المستحيل علينا ونحن في  
الإسكندرية أن نحصل على حمل واحد أو  
قربة واحدة لحمل الماء على الرغم لوامر  
الجنرال كليبى، وبلغت بنا الحال أنه في  
يوم تحرك الفرقة اخذت الجمال من  
الإسكندرية، ثم عدت إلى الظهور في  
شوارع لمدينة عداة سيرنا مما يدل على  
أن هناك تواطؤاً بين الأهلى ولصحاب  
الإبل)) ص ١٩٢، ويشير لرفعى إلى هذه  
المقاومة بأن (( الفرنسيين لقاوا أشد لجدد  
في استخدام التوتسية المصريين  
في مراكزهم لامتساع لكثير منهم  
واستصانهم أن يخسروا المحتلئين في  
منفعة أو ضارة)) ص ٢٠٢، وقد عمت